نشوان زيد علي عنتر

العملة السياسية

اللعبة السياسية

(مقالات)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٣م

النبراس

للطباعة و النشر

صنعاء

آل البيت

ظهر في الآونة الأخيرة بالبلدان العربية و الإسلامية تيارات أيدولوجية لا داعي لذكر إسمها تنادي بقداسة آل بيت رسول الله (ص) و مكانتهم العالية بين إخوانهم المسلمين و جلهم من نسل صهره علي بن أبي طالب كرم الله وجهه زوج إبنته فاطمة الزهراء و ولديهما الحسن و الحسين رضوان الله عليهم جميعا ، و قد ظهرت بقوة أكثر من ذي قبل على إثر ثورات الربيع العربي في مصر و ليبيا و اليمن و سوريا و تونس بشكل ملحوظ و أضحت تعادي من لا يؤيد نهجهم و يكفرونه علنا إن لم نقل سرا و تهديده بإستخدام العنف إذا إقتضى الأمر .

قد يبدو مما أقوله شيئا مألوفا و نمطي لا جديد فيه ، لكن ما إستجد اليوم هو أن هذه الدعوة لم تعد حكرا على أتباع الطائفة الشيعية بل تعدتها إلى نظرائهم في الطوائف السنية و الإباضية و الزيدية

كما يحدث في اليمن و تركيا و الجزائر و تركيا و يتبادلون معهم نفس الشعور على الصعيدين الشعبي و الرسمي و أكثر مما يطرح علينا بإلحاح هذا التساؤل عن سر الولاء المفاجئ لآل البيت و السلالة الهاشمية من كافة أبناء الأمة المحمدية دون إستثناء .

لكن قبل أن نبدأ بالإجابة عنه علينا أولا شرح مصطلح آل البيت الذي يسرف المتبنين له في إستخدامه في كل مناسبة شعبية و رسمية على حد سواء و بداية ظهوره و تطور مفهومه و مدى فعاليته في كتب التاريخ الإسلامي على مر العصور .

فآل البيت يقصد به أسرة رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم المكونة من زوجاته و أولاده و بناته و إخوته و أخواته و أعمامه و أخواله على حد سواء مما يوضح لنا أن هذا المصطلح المذكور آنفا مصطلح قبلي ظهر مبكرا حتى قبل البعثة النبوية و

يشمل حينها معظم قبيلة بني هاشم و من صاهروهم من القبائل القيسية كبنو سهم و عدي و تيم .... الخ و اليمنية كالأوس و الخزرج إضافة إلى المصريين الأقباط بعد زواجه (ص) من ماريا القبطية التي أنجبت له إبنه إبراهيم رضي الله عنه ، ثم بدا تنحصر دائرته الكبيرة تدريجيا لتشمل فقط المؤمنين به و المعتنقين لدين الإسلام دون سائر أفراد عشيرته الذين كان جلهم من المشركين ، و بعد ذلك إستمرت دائرته تضيق أكثر فأكثر و لاسيما على إثر معركة صفين الشهيرة عام ٤٧هـ الموافق ٦٦٧م و التي ظهر فيها مصطلح آل البيت لأول مرة بعد التحكيم المعروف بين طرفي النزاع علي بن أبي طالب كرم الله و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه و على إثرها إنقسم المسلمين إبانها إلى ثلاث طوائف سنة و شيعة و خوارج حيث إشتبكوا فيما بينهم في صراعات دامية و مذهبية

دامت عقدين من الزمن أخذت من مجدهم الحضاري خلال العصور الوسطى و أثر عليهم سلبا كثيرا و جعلتهم متنافرين يتوارثون هذه الأحقاد جيلا بعد جيل إلى وقتنا الحاضر ليتمخض عن ذلك إنحصار هذا المصطلح حول سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و زوجته الثانية فاطمة الزهراء رضي الله عنه إبنة الرسول الكريم (ص) و شيئا فشيئا صغرت الدائرة حول أولاده فتارة يطلقونه على سلالة إبنه الحسن رضي الله عنه و تارة أخرى على أخيه الصغير الحسين رضي الله عنه ..... و هلم جرا .

و من الملاحظ أن مصطلح آل البيت لا يتكرر إلا على ألسنة أتباع الطائفة الشيعية بكافة مذاهبهم و المنتمين إلى السلالة العلوية بغض عن طائفته أو مذهبه و المنتشرين في أرجاء المعمورة الذين يكثرون من إستخدامه في كافة المناسبات

الإجتماعية و السياسية و الفكرية و الثقافية بإعتبار أنه بالأساس محصور فيهم لوحدهم دون غيرهم للأسباب التالية :

١- أنهم أحفاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إبن عم الرسول (ص) و صهره و والد الحسن و الحسين رضي الله عنهما سبطي الرسول (ص) و ريحانتيه .

٢- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول شخص إعتنق الإسلام من كلا الجنسين قبل خديجة بنت خويلد و أبوبكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي الله عنهم و لازمه طيلة حياته دون أن يفارقه لحظة واحدة .

٣- والده هو أبوطالب بن عبدالمطلب الذي بذل جهده و صحته للدفاع عن إبن أخيه الرسول (ص) منذ ان تيتم على اثر وفاة والديه .

٤- و لأنه تزوج إبنة الرسول الكريم (ص) و زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنه فاطمة الزهراء رضي الله عنها سيدة نساء العالمين .

٥- لأنهم ينتسبون إلى بنو هاشم الذي إصطفى الله منهم نبي الله محمد صلى الله عليه و سلم و خاتم الأنبياء لما يتسم أبنائه بدماثة أخلاقهم و حسن خصالهم الرفيعة و لاسيما الكرم و الضيافة و إجارة الضعيف .

٦- معظم الأحاديث النبوية من وجهه نظرهم تؤيد أحقيتهم بحصر مصطلح آل البيت فيهم .

٧- علي بن أبي طالب أفضل صحابة الرسول (ص) علما و دينا حيث لم يسجد لأي صنم .

لو قمنا بتحليل كل واحد منهم على حدة لنتأكد من مدى مصداقيتها و مطابقتها لما أدرجت له لأدركنا أنه ثمة حقائق غائبة لم يذكرها أصحاب الآراء المذكورة سلفا ، فعلى

سبيل المثال الذي يرى أن سلالة آل البيت محصورة في أولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة الزهراء تناسى عمدا أن أولاد عثمان و بن عفان و ولدي عمه أبو لهب و أولاد الرسول من زوجاته الثمان بمن فيهم عائشة رضي الله إبنة صديقه أبوبكر الصديق رضي الله عنه و حفصة رضي الله عنها إبنة صديقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أولاد صفية رضي الله عنها إبنة زعيم اليهود في بني النضير حيي بن أخطب يعتبرون ضمن آل البيت أيضا ، ثم أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليس أول شخص من كلا الجنسين إعتنق الإسلام بل خديجة بنت خويلد و زيد بن حارثة رضي الله عنهما على إثر نزول الوحي على الرسول (ص) و هو في غار حراء ، كما أن زيد بن حارثة رضي الله عنه هو أكثر من

لازم الرسول الكريم (ص) طيلة حياته حتى إستشهاده في غزوة مؤتة بالسنة السادسة للهجرة (٦٢٨م) و من بعد ذلك رافق علي الثاني حتى إنتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها في السنة العاشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، أما بالنسبة لأن عليا إبن عبد مناف بن عبدالمطلب المعروف بأبي طالب عم الرسول (ص) الذي وقف إلى جانب إبن أخيه حتى وفاته فالزبير بن عبدالمطلب حمى الرسول (ص) و رعاه أكثر منه ، أما فيما يتعلق بأنه صهر الرسول (ص) فعثمان بن عفان رضي الله عنه كان من أصهاره حيث تزوج إبنتيه رقية و أم كلثوم و على إثر ذلك لقب بذي النورين ، و ليس بالضرورة إنتماء الرسول (ص) و علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى بني هاشم إعتبارها سلالة مقدسة خالية من العيوب فقد خرج منها عبدالعزى بن

عبدالمطلب الملقب بأبي لهب المشرك الكافر و أخيه العباس أهم تجار الربا في مكة وقتها قبل أن يسلم ، إضافة إلى أنه هناك من الناس الذين لم يسجدوا لصنم في حياتهم غير علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و لا يقلون علما عنه كورقة بن نوفل و زيد بن نفيل و عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما ... الخ ، كما أن مصطلح آل البيت قائم على أساس ديني لا سلالي بحيث أن من ينتمي إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم هم الناس الذين لا ينتمون إلى سلالة الرسول الهاشمية القرشية بل الذين يؤمنون بالإسلام و يخلصون في عبادتهم لله و يدافعون عن الرسول الكريم و الإسلام ، فلا نستغرب أن الرسول (ص) عندما إعتبر سلمان الفارسي من آل بيته على الرغم من أنه لا ينتمي إلى

العـرب بتاتـا و هـو سـليل مرازبـة فـارس الإقطـاعيين أي أنـه مـن طبقـة النـبلاء فـي المجتمـع الفارسـي الساسـاني كمـا هـو مـذكور فـي الأثـر (سـلمان منـا آل بيـت) و إعتبـر الحبشـي بـلال بـن ربـاح و اليمني زيد بن حارثة من آل بيته أيضا .

و نصـل إلـى آخـر نقطـة مـن موضـوعنا الحـالي ألا و هـو الكـم الهائـل مـن الأحاديـث النبويـة التـي سـاقها أصـحابها ليسـبغوا الشـرعية علـى آل البيـت و حصـر الخلافـة فـي آل علـي بـن أبـي طالـب الله عنـه دون سـائر غيـرهم مـن المسـلمين يناقضـها بالمقابـل أحاديـث تؤكـد أن الخلافـة مـن حـق أبـو بكـر أو عمـر و إن إشـتركا فـي عـدم صـحة رواياـتهم لأن معظمهـا موضـوعة ممـا يكشـف لنـا مـن خلاصـة تحليلنـا الـوجيز لهـذا المصـطلح و أسـبابه المختلفـة العواقـب الوخيمـة لتقـديس الغيـر المقـدس و تـرك عبـادة الله الواحـد

الأحـــد إلـــى عبـــادة الأشـــخاص و لاســـيما أن مـــن يســـعون لـــذلك لهـــم دوافـــع سياســـية بحتـــة لا علاقـــة لـــه بـــديننا الإســـلامي البتـــة ، و هـــذا مـــا يجعلنـــا نـــدرك الحكمـــة الإلهيـــة مـــن جعـــل أولاد النبـــي صـــلى الله عليـــه و ســـلم مـــن الإنـــاث لا الـــذكور ألا و هـــو الحيلولـــة دون وجـــود ســـلالة مـــن صـــلبه يقدســـها المســـلمون و لـــو علـــى حســـاب إنتمـــائهم لـــدينهم الإســـلامي الحنيـــف الـــذي لا يـــؤمن بالنزعات الفئوية الضيقة .

الحلال و الحرام

منـــذ فجـــر التـــاريخ و بـــزوغ الحضـــارات القديمـــة الكبـــرى إلـــى وقتنـــا الحاضـــر و لا يـــزال البشـــر بمختلـــف مشـــاربهم يتـــداولون مفهـــومي الحـــلال و الحـــرام و يقصـــد بهمـــا فـــي لغـــة رجـــال القـــانون الشـــرعي و الغيـــر شـــرعي فيمـــا

يتعلق بالخطأ و الصواب في مجريات حياتهم اليومية من وجهة نظرهم النابعة من ثقافتهم الخاصة بهم ، بدأت هذه اللعبة السمجة بالظهور على الساحة بشكل عادي عبر قوانين يصدرها حكامهم في تلك العصور تلبية لإحتياجاتهم الماسة لتنظيم أمورهم اليومية بما يتلاءم مع بيئتهم المحلية و بمباركة من الآلهة الوثنية و كهنتها الموالين للنخبة الحاكمة آنذاك مما جعل الأخيرة توظف الحلال و الحرام عبرهم لأغراض سياسية و إقتصادية مما أدى إلى نمو طبقة رجال الدين الثرية و المظالم التي ترتكبها بحق المواطنين جراء ذلك و بالتالي إلى دفع بعض المفكرين أو الملوك المصلحين إلى معاداتهم و معاداة آلهتهم الوثنية التي عبدوها و البحث عن إله بديل يضمن حقوق البشر كافة و يحقق لهم العدل التام كما فعل الملك أخناتون في مصر القديمة و الملوك اليمنيين القدماء في القرن الخامس الميلادي

و الأنبياء المرسلين من عند الله للتبشير به أمام أقوامهم و شعوبهم و تجلت على إثرها الديانات السماوية كالحنيفية و اليهودية و المسيحية و الإسلام و التي إعتقد الناس حينها أن كل شئ سيتغير إلى الأفضل لأنها نابعة من الله عز و جل الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد ، لكن سرعان ما خاب ظنهم ليكتشفوا أنها إمتداد لنظيراتها الوثنية دون زيادة أو نقصان ، سيما و أن رجال الدين فيها أضحوا هم الأوصياء الوحيدين عليها و يحتكرون التعليم و أصول الفقة و المعرفة فيها لأنفسهم ، و ما ساعدهم في تحقيق ذلك تحالفهم مع الأنظمة السياسية و القوى الرجعية المنبثقة من وسطهم الإجتماعي و الديني لأغراض في نفس يعقوب ، فبدأوا بتسييس الأحكام الشرعية وفق مصالح الأخيرة الشخصية ، بل وصل بهم الحد إلى ربطهم الجائر و المزور لهذه الأحكام المزعومة بالله

سبحانه و تعالي لأنها صادرة منه كما تنص الكتب المقدسة و لا سيما القرآن الكريم حسب زعمهم و من بينها الحلال و الحرام ، فحرموا بعضا من الرغبات و السلوكيات الإنسانية تحريما قاطعا على الرغم من أن التحريم فيها نسبي و حللوا البعض الآخر تحليلا كاملا على الرغم من أن التحليل فيها جزئي ، و هناك رغبات و سلوكيات ظرفية لم يرد أي ذكر لها في الكتب المقدسة مطلقا فأعادوا تفسير نصوصها على هواءهم بما يتلاءم مع رغباتهم السياسية فحرموا ما يشاؤون و حللوا ما يشاؤون مما أثار غضب السواد الأعظم من الناس الذين كانوا أكثر المتضررين من جراء ذلك ، و إنقسموا حياله إلى أربعة أقسام :

١- مدافعين عن دينهم السماوي و الله الواحد دون رجال الدين معتبرين أن كلاهما على حق و صواب لكن تصرفات رجال الدين المتولين

أمـــورهم الروحيـــة هـــم الـــذين يتحملـــون مســـئولية تشـــويه صـــورتهما أمـــام البشـــر و عـــرف اتبـــاع هـــذا المعتقـــد برجـــال حركـــة التجديـــد أو الإصـــلاح الديني منذ القرن السادس عشر الميلادي .

٢- معـــادين لـــدينهم الســـماوي و الله الواحـــد و رجـــال الـــدين علـــى حـــد ســـواء و حملـــوهم جميعـــا المســـئولية الكاملـــة فـــي إضـــطهاد البشـــر بمختلـــف مشـــاربهم و لاســـيما الفئـــات الفقيـــرة و الـــدنيا مـــنهم عبـــر أحكـــامهم الشـــرعية فـــي الجـــانبين المـــادي و الروحـــي و عـــرف أنصـــار هـــذا المعتقـــد بـــالفكر الماركســـي الشـــيوعي و الإلحـــادي منـــذ القـــرن التاسع عشر الميلادي .

٣- غيـــر معـــادين أو مـــدافعين لـــدينهم الســـماوي و الله الواحـــد و رجـــال الـــدين معتبـــرين أن المعتقـــدات الـــدائرة حـــول المـــذكورين أعلاهـــم ليســـت بالضـــرورة صـــالحة لكـــل زمـــان و مكـــان و عرفـــوا بأنصـــار

الفكـــر الوســـطي المعتـــدل منـــذ القـــرن العشـــرين الميلادي .

٤- أتبـــاع هـــذا الطـــرف فيـــرون أن الـــدين الســـماوي و الله الواحـــــد و رجـــــال الـــــدين يجـــــب أن يكونـــــوا محصـــــورين فـــــي الطقـــــوس الدينيـــــة و أمـــــور الآخـــــرة فحســـب فهـــذا هـــو ميـــدانهم المناســـب و لا علاقـــة لهـــم البتـــة بـــأمور الحيـــاة اليوميـــة فـــي الـــدنيا التـــي يجـــب أن يكـــون لهـــا قوانينهـــا الخاصـــة بهـــا و المنبثقـــة مـــن رحـــم مشـــاكل النـــاس و همـــومهم و عرفـــوا هـــؤلاء بأنصـــار الفكـــر العلمـــاني منـــذ القـــرن الخـــامس عشـــر المـــيلادي .

و علـــى الـــرغم ممـــا حققتـــه المـــذاهب الفكريـــة الأربعـــة الســـالفة ذكـــر مـــن إنجـــازات جذريـــة فـــي صـــلب الفكـــر الإجتمـــاعي الإنســـاني علـــى مـــر العصـــور و أثـــرت تـــأثيرا عميقـــا فـــي المجتمعـــات بـــلا شـــك إلا أنهـــا وقعـــت فـــي نفـــس الخطـــأ الـــذي وقـــع فيهـــا مـــن ســـبقهم ألا و هـــو

تسييس الحلال و الحرام بما يتماشى و مصالحهم و مصالح مجتمعاتهم الحيوية النابعة من ثقافاتهم المحلية الخاصة ، فعلى سبيل المثال فالأديان تحرم الخمر و الدعارة و تحلل المخدرات و الزواج الإجباري بينما هم يحللون الخمر و الدعارة و يحرمون المخدرات و الزواج الإجباري ، و لو قمنا بدراسة الآثار الجانبية لهذه الأشياء المذكورة سلفا فسنجد أن كل واحدة منها لديها إيجابيات و سلبيات و لا ينطبق عليها التعميم الحتمي سواء كان سلبا أم إيجابا ، كما أن الإفراط أو التقشف في تعاطيها هو الذي يجعلها في حالة التحريم أو التحليل بمعنى آخر و وفقا للقاعدة الفقهية لمذهب الإمام أبي حنيفة التي تنص إن العلة ليس في الشيء و إنما في سوء إستخدامه ، فعندما يشرب المرء نصف قدح من الخمر فأنه لا يتضرر جسديا أو عقليا لكن حين يفرط في الشرب إلى

حد إجتراع قنينة بأكملها فإنه يصاب بالسكر و يدخل في حالة من النسيان و اللاوعي ، كما أن الذي يشرب قنينة من الخمر المليء بالشوائب لا يسكر عكس شارب الخمر المركز ، الشيء ذاته ينطبق على مدمن المخدرات ، فإذا تعاطى مقدارا ضئيلا من الهيروين أو الكوكايين فإنه لا يصاب بشئ و إذا تعاطى مقدارا متوسطا منهما يصاب بحساسية في أنفه ، و إذا تعاطى مقدارا كبيرا أصيب جسده بأمراض شتى من بينها الإنهيار العصبي ، أما إذا تناول جرعة زائدة فسيكون قد فارق الحياة بلا شك .

نستشف مما سبق أن الحلال و الحرام لم تعد نابعة من الثقافة الاعتقادية للبشر على مر الزمان القائمة على مبدأ أن الحلال هو الأشياء المفيدة للإنسان و الحرام الأشياء المضرة للإنسان ، بل أضحت لعبة

سياســـية بكافـــة المقـــاييس بعـــدما سيســـت القـــوانين و الشرائع الدينية لصالحها .

التعميم

يطلق هذا المصطلح اللغوي على الوصف التام لمجموعة من الحالات أو الظواهر الماثلة أمامنا المتطابقة شكلا و مضمونا ، فعلى سبيل المثال يطلق الناس صفة المياه المالحة على البحار و المحيطات بمعنى آخر عمموا ظاهرة وجود المياه المالحة على البحار و المحيطات كما عمموا ظاهرة المياه العذبة على الأنهار و البحيرات ..... و هلم جرا .

لكن هذا المصطلح أضحى هذه الأيام لعبة سياسية سمجة بيد من هب و دب من الناس الذين يهوون الصيد في المياه الراكدة (و لا سيما العرب و اليمنيون منهم) عمدا و عدوانا لأغراض دنيئة في نفس يعقوب ، كأن يعمموا صفة الشر على اليهود و المسيحيين و صفة الخير على المسلمين و العكس بناء على أسباب دينية واهية ما أنزل بها من

سلطان رغم علمهم علم اليقين بعدم وجود شعب شرير حتى النخاع ١٠٠% أو شعب خير حتى النخاع ١٠٠% ، فكل شعب في أرجاء المعمورة مكون من صنفي الأخيار و الأشرار و ليس من صنف واحد ، علاوة على ذلك يقومون دون حياء أو خجل فرض صفات معينة على بعض الظواهر الماثلة أمامهم التي لا ينفع فيها التعميم المطلق بنسبة ١٠٠% كتعميمهم الطيران على الطيور أو المخلوقات من ذات جناحين متاجهلين عن قصد طيور الدجاج و البط و الطاووس و النعام و السمان و الديك الرومي الغير قادرة على الطيران في أبحاثهم الأكاديمية أو تعميمهم ظاهرة الإرهاب و التخلف على الإسلام و المسلمين بدلا من اليهود و المسيحيين و الهندوس تماشيا مع وسائل الإعلام و الرأي العام !

التضخم

ما زال هذا المصطلح العلمي المثير للجدل يصدر عناوين الصحف و المجلات و أخبار القنوات التلفزيونية و المحطات الإذاعية و الكتب المنشورة في أرجاء المعمورة و لا سيما بلدان العالم الثالث بإعتباره أزمة إقتصادية حادة ناتجة عن إرتفاع جنوني لأسعار السلع الإستهلاكية و الكمالية و أسعار الخدمات و العقارات و الأصول بكافة أنواعها في فترة زمنية محددة يتسبب حدوثها إنهيارا شاملا للبلد الذي يعاني منه في كافة مجالات الحياة اليومية و يغوص في الحضيض و الكساد و الركود حتى أخمص قدميه بعدما كان يتربع على عرش الرخاء و الإزدهار و يغرق شعبه في وحل الجوع و الفاقة و الفقر و البطالة و يعجز أفراده بكافة الفئات الإجتماعية عن شراء ما يحتاجونه من السلع الإستهلاكية و الكمالية بأموالهم المحدودة التي

بحـــوزتهم بعـــدما كـــان يـــنعم فـــي الشـــبع و الثـــراء و النعيم و الخير الوفير كما في السابق .

نفهـــم ممـــا ســـبق أن التضـــخم مـــرتبط تمامـــا بإرتفـــاع الأســـعار مقابـــل الإنكمـــاش المـــرتبط بإنخفاضـــها التـــام ، إضـــافة إلـــى أن هـــذه الأزمـــة منـــذ القـــدم لـــم تظهـــر إلا فـــي البلـــدان الرأســـمالية القائمـــة علـــى نظـــام إقتصـــاد الســـوق عكـــس نظيراتهـــا الشـــمولية القائمـــة علـــى إقتصـــاد الدولـــة ، لكـــن بعـــد إنهيـــار جـــدار بـــرلين عـــام ١٩٨٩م و المعســـكر الشـــرقي عـــام ١٩٩٢م تبـــدلت الأمـــور كثيـــرا عمـــا مضـــى و أضـــحت البلـــدان الرأســـمالية و الشـــمولية علـــى وجـــه البســـيطة سواســـية فـــي لعبـــة التضـــخم بنســـبة ١٠٠% بعـــدما قامـــت الأنظمـــة الحاكمـــة فيهـــا ديمقراطيـــة كانـــت أم لا بتســـييس الإقتصـــاد و قواعـــده الأساســـية و أزماتـــه الماليـــة وفقـــا لرغباتهـــا التآمريـــة و خدمـــة مصـــالحها الشخصـــية و السياســـية بأســـاليب قانونيـــة شـــكلا و غيـــر قانونيـــة مضـــمونا مســـتفيدة مـــن

هلـــع المـــواطنين الجنـــوني لشـــراء حاجـــاتهم الضـــرورية مـــن الســـلع الإســـتهلاكية و الكماليـــة دون مراعـــاة لظـــروفهم المعيشـــية و ظـــروف بلادهـــم الإقتصـــادية ممـــا يشـــجع التجـــار و السماســـرة و رجـــال الأعمـــال علـــى التـــربج الجنـــوني مـــن وراءهـــم بعائـــدات خياليـــة عبـــر رفـــع أســـعارها بأرقـــام فلكيـــة مـــا أنـــزل الله بهـــا مـــن ســـلطان بموجـــب قـــانون العـــرض و الطلـــب و إنخفـــاض الإنتـــاج المحلـــي لهـــا و غيـــاب المنافســـة التجاريـــة علـــى الصـــعيدين الـــداخلي و الخـــارجي لهـــم قبـــل أن تلـــتهم حكومـــات بلـــدانهم بـــدورها معظـــم أربـــاحهم التـــي جنوهـــا مـــن الزبـــائن عـــن طريـــق فرضـــها ضـــرائب باهظـــة و مجحفة لا يقبلها عقل أو منطق .

و عنـــدما يـــتم للنظـــام الحـــاكم مـــا أراد و حقـــق غرضـــه المنشـــود مـــن وراء لعبتـــه القـــذرة تلـــك أو خوفـــا مـــن حـــدوث إضـــطرابات إجتماعيـــة مـــدمرة لا يحمـــد عقباهـــا يقـــوم بإعـــادة الأمـــور إلـــى نصـــابها كمـــا فـــي الســـابق عبـــر

تحديـــد أســـعارا منخفضـــة لكافـــة الســـلع الإســـتهلاكية و الكماليـــــة مناســـــبة لكافـــــة الشـــــرائح الإجتماعيـــــة و دخولهـــا الماليـــة و رفـــع الإنتـــاج المحلـــي لهـــا و فـــتح أبـــواب المنافســـة التجاريـــة الداخليـــة و الخارجيـــة علـــى مصـــراعيه و منـــع تجارهـــا الإحتكـــار و السمســـرة فيهـــا و تخفـــيض الضـــرائب المفروضـــة مـــن قبلهـــا علـــيهم إلـــى أقصى حد ممكن .

العالم الثالث

يعتبر هذا المصطلح اللغوي من النتائج السلبية لتوظيف التعميم في خدمة السياسة رغم ظهوره المتكرر على وسائل الإعلام الغربية منتصف الخمسينات من القون العشرين لوصف الأوضاع السياسية في العالم إثر إنتهاء الحرب العالمية الثانية و قيام الأمم المتحدة محل عصبة الأمم عام ١٩٤٥م و إنقسامه جراء ذلك إلى ثلاثة عوالم أو كتل دولية تتصارع ضد بعضها البعض لأسباب عقائدية على النحو التالي :

١- العالم الرأسمالي و يتربع على عرشه حلف شمال الأطلسي الذي تأسس عام ١٩٤٩م .

٢- العالم الإشتراكي و يتربع على عرشه حلف وارسو الذي تأسس عام ١٩٥٤م .

٣- العالم الثالث و يمثلها منظمة دول عدم الإنحياز التي تأسست عام ١٩٥٥م .

و لأن الأخير لم يتحول إلى حلف سياسي و عسكري شامل يحسب لها ألف حساب كنظيريه السابقين و غير قادر على حماية أعضائه المنضوين تحت لوائه من إعتداءات و غزوات نظرائهم من الأحلاف الأخرى و لا رفع مستواهم إقتصاديا و سياسيا و عسكريا و علميا و تكنولوجيا أسوة بغيرهم حتى وقتنا الراهن أضحت في نظر الجميع مهزلة العصر و أضحوكة الدنيا و باتت لعبة سياسية سمجة يمارسها الغربيون بكافة مشاربهم بغية التندر و السخرية العنصرية من الشعوب التي يكرهونها و يلطخون شرفها بالعار و بكافة السلبيات الحقيقية و الكاذبة دون وجه حق يذكر جيلا بعد جيل كما فعل مؤلف كتاب (موسوعة العالم الثالث) و هو مؤرخ أكاديمي بريطاني عنصري لا داعي لذكر إسمه حيث خلط في ثنايا سطوره السوداء بين الحابل و النابل كما يحلو له عندما حصر العالم الثالث ضمن نطاق

البلـــدان الناميـــة فحســـب رغـــم علمـــه علـــم اليقـــين بـــأن هـــذا المصـــطلح سياســـي بحـــت و لا علاقـــة لـــه بالإقتصـــاد لا مـــن قريـــب أو مـــن بعيـــد فـــلا تســـتغرب وضـــعه عـــن عمـــد تركيـــا و كوبـــا ضـــمن العـــالم الثالـــث رغـــم أن الأولـــى عضـــو فـــي حلـــف شـــمال الأطلســـى منـــذ عـــام ١٩٥٥م و الثانيـــة عضـــو فـــي حلـــف وارســـو منـــذ عام ١٩٦٤م ..... الخ .

الغريـــب فـــي الأمـــر أن العديـــد مـــن الغـــربيين بكافـــة مشـــاربهم مـــازالوا يتمـــادون فـــي تشـــويههم العـــدائي و العنصـــري لبلـــدان العـــالم الثالـــث إلـــى يومنـــا هـــذا حتـــى بعـــد ســـقوط الإتحـــاد الســـوفيتي و معســـكره الشـــيوعي الشـــرقي عـــام ١٩٩٢م ، و الأغـــرب مـــن ذلـــك أن العديـــد مـــن بلـــدان العـــالم الثالـــث تســـتحق مـــا يجـــري لهـــن مـــن تشـــويه غربـــي عنصـــري مقـــذع لصـــورتهن عبـــر وســـائلهم الإعلاميـــة جـــراء تخلفهـــن الثقـــافي و الحضـــاري و الإقتصـــادي و العلمـــي و التكنولـــوجي

المـــزمن ، و الأكثـــر غرابـــة أيضـــا عـــدم ســـعي الغـــربيين لتشـــويه صـــورة عـــدوهم اللـــدود فتـــرة الحـــرب البـــاردة (١٩٤٧-١٩٩٢م) العـــــــالم الثـــــــاني و بلدانـــــــه الشـــيوعية إعلاميـــا و لـــو بـــأدنى شـــفة مـــا يبـــرهن لنـــا بمـــا لا يـــدع مجـــالا للشـــك أن العـــداء الإعلامـــي للعـــالم الثالـــث بهـــذه الطريقـــة المرســـومة المفتعلـــة لعبـــة مطبوخـــة ســـلفا بـــين الحـــرب البـــاردة مـــن المعســـكرين الشـــرقي و الغربـــي ضـــده لجـــر أعضـــائه اليائســـين منـــه و مـــن عجـــزه المـــزمن إلـــى الإنضـــمام لأحـــد منهمـــا و التمتـــع بحمايتـــه المطلقة و خيره الوفير دون زيادة أو نقصان .

الديون الخارجية

مازالت هما كئيبا يؤرق العديد من البلدان النامية لعدم قدرتها على سدادها أو سداد فوائدها الربوية المرهقة التي لا تتوقف عن صعودها الجنوني كل عام و تثقل كاهل حكوماتها و تنغص على شعوبها فرحتهم و تفاؤلهم كل يوم و تلتهم أموالهم و مدخراتهم النقدية و أراضيهم و ممتلكاتهم العقارية دون وجه حق و تجعلهم فريسة سهلة للدول الدائنة كي تستعمرهم و تستولي عليهم دون أن يحركوا ساكنا كما حدث للفلسطينيين الذين باتوا بين ليلة و ضحاها خارج وطنهم عام ١٩٤٨م .

و مع ذلك فالدول الدائنة و من بينها أمريكا و اليابان و بريطانيا و إسرائيل مازالت تعاني من الديون الخارجية المتراكمة عليها و فوائدها المتصاعدة التي تفوق ما لدى نظيراتها المذكورة أعلاها أضعافا مضاعفة دون أن تشعر بالقلق بتاتا

حيـــال المطالبـــة بســـدادها فـــي التـــو و اللحظـــة للأســـباب التالية :

١- معظـــم هـــذه الـــديون الخارجيـــة إســـتدانتها الـــدول الدائنـــة الغنيـــة مـــن مواطنيهـــا المنتمـــين إليهـــا و المقيمـــين فـــي بلـــدان أخـــرى يـــديرون فيهـــا شـــركاتهم و إســـتثماراتهم الصناعية و الزراعية و الإقتصادية فيها .

٢- إدارة مواردهـــا الطبيعيـــة و البشـــرية بشـــكل ســـليم و مبتكر .

٣- التســـاهل مـــع المتـــورطين فـــي قضـــايا غســـيل الأمـــوال و تهريـــب الأمـــوال عبـــر خصـــم معظـــم أربـــاحهم الغير مشروعة لتسديد الدين الخارجي .

٤- الموازنة بين الإستدانة الداخلية و الخارجية .

٥- مكافحـــــة و إدارة الفســـــاد المـــــالي و الإداري بشكل ديمقراطي سليم و مبتكر .

٦- دولـــــة المؤسســـــات الديمقراطيـــــة و التبـــــادل الديمقراطي السلمي للسلطة .

٧- إستدانت البلدان الدائنة ديونها الخارجية من بلدان حليفة لها أو تابعة لها من تحت الطاولة .

٨- سياسة الإدخار البريدي و المصرفي منذ الصغر .

٩- السياسة الضريبية المبتكرة .

١٠-الإنتاج الهائل للسلع الصناعية و الزراعية و بيعها و توزيعها داخل بلدانها و خارجها .

١١-الحد من الإستيراد لصالح التصدير قدر الإمكان .

١٢-تسدد ديونها الخارجية بفوائدها المتصاعدة على هيئة ودائع مالية مع الأرباح يودعها الدائنون في مصارفها أو فتح الباب على مصراعيه لإستثمارات الدائنين الصناعية و الزراعية و الإقتصادية دون قيد أو شرط .

١٣-سيطرتها التامة على ٧٠% من ملكية مؤسستي البنك الدولي و صندوق النقد الدولي

التـــابعتين للأمـــم المتحـــدة و اللتـــين تقومـــان بتســـليف أي بلـــد فـــي العـــالم و تحصـــيل الـــديون و فوائـــده منـــه دون زيادة أو نقصان .

الديمقراطية

وصفها الفيلسوف اليوناني أفلاطون بأنها أفضل أنظمة الحكم في العالم رغم مساوئها العديدة ، فلقد أضحى هذا المصطلح السياسي المبهم نوعا حديث شعوب العالم أجمع و مصدر آمالها العريضة و لا سيما شعوبنا العربية و الإسلامية في التحرر من نير الطغيان و الإستبداد الداخلي الذي مازال يؤرقها ليل نهار بقمع و إستعباد أصحابه اليومي لهم و منعهم من تحقيق ذاتها التواقة للحرية في الإبداع و البوح بآرائها الصادقة في كل شئ قبل أن يحولها الغرب إلى لعبة سياسية مبتذلة لإبتزاز معارضيه من الأنظمة الحاكمة الموالية و المعادية له على حد سواء ، سيما و أنهم من إخترعوها عن طريق اليونان في القرن العاشر قبل الميلاد ، فالديمقراطية كلمة يونانية الأصل تعني لغة حكم الشعب للشعب و إصطلاحا هي مجموعة من النظم

و القـــوانين التـــي تـــنظم أصـــناف و أنـــواع الحريـــة داخـــل المجتمـــــع بحيـــــث لا تتجـــــاوز الخطـــــوط الحمـــــراء المتمثلـــة فـــي ســـيادة الدولـــة و النظـــام و القـــانون و وحـــدة الـــوطن و ســـلامة أراضـــيه ، و علـــى هـــذا الأســـاس طبقـــوا فـــي تسييســـهم للديمقراطيـــة شـــكلها المتمثـــل فـــي معناهـــا اللغـــوي دون جوهرهـــا علـــى شـــعوب العـــالم الثـــاني و الثالـــث بأســـلوب ســـطحي و غـــامض و مـــبهم لا يســـتوعبها أفرادهـــا إســـتيعابا ســـليما كعنصـــر الإنتخابـــات الرئاســـية و البرلمانيـــة و عنصـــر دولـــة المؤسســـات و عنصـــر المجتمـــع المـــدني ..... هلـــم جـــرا ، بينمـــا طبقـــوا جوهرهـــا المتمثـــل فـــي معناهـــا الإصـــطلاحي علـــى شـــعوبهم دون أن يســـمحوا لهـــم بـــالتغيير إلا بـــإذن نخبـــتهم الحاكمـــة المتحكمـــة بمؤسســـات بلـــدانهم التنفيذيـــة و التشـــريعية و القضـــائية و دســـتورهم المفـــروض علـــيهم ، و لأن الغـــربيين يعلمـــون علـــم اليقـــين بـــأن شـــكلها و جوهرهـــا صـــنوان لا

يفترقـــان و كلاهمـــا مكمـــل لبعضـــهما الـــبعض و إتحادهمـــا التـــام يحقـــق الديمقراطيـــة الحقيقيـــة المنشـــودة حيـــث إذا غـــاب أحـــدهما عـــن الآخـــر تصـــبح مشـــوهة و نصـــف مشـــلولة و بالتـــالي عديمـــة الفائـــدة فقـــد تعمـــدوا أن يقـــدموا الديمقراطيـــة فـــي أرجـــاء المعمورة منقوصة و غير كاملة .

الإعلام

صدق عالم الإجتماع الأمريكي هربرت ميللر حينما إعتبرها أفضل وسيلة للتلاعب بالعقول على أكمل وجه دون التهديد و الوعيد بالسلاح الناري و الأبيض حيث ترتكز وظيفتها الأساسية في إقناعها السحري مرارا و تكرارا للمتلقي لمحتوياتها المنشورة دون كلل أو ملل ، خلاصة القول أن الإعلام له مفعول السحر في تغيير أذواق الناس و آرائهم الفطرية فيما يتعلق بأمور حياتهم اليومية رغم أن وظيفته الأساسية هو تعريفهم بآخر الأخبار المرتبطة بهم و بحياتهم اليومية في كافة الأصعدة لا أكثر و لا أقل ، لكن أباطرته الفعليين و تحديدا الغربيين منهم أدركوا مليا قدرتها على تحويل الحق إلى باطل و العكس صحيح و مفعوله السحري في تغيير عقول البشر المثقفين و الأميين على حد سواء و النفاذ إليها بغاية السهولة قاموا بتسييسه و

إســـــتغلاله بمنتهـــــى الإتقـــــان و الـــــذكاء و تخصـــــيص الأمـــــوال الطائلـــــة لتشـــــغيل وســـــائله المقـــــروءة و المســـــموعة و المرئيـــــة مـــــن كتـــــب و صـــــحف و مجـــــلات و إذاعـــــات و تلفزيونـــــات و أجهـــــزة فيـــــديو و كمبيـــــوتر و هواتـــــف نقالـــــة و إنترنـــــت و ســـــينما و مســـــرح لمخاطبـــــة كافـــــة الفئـــــات العمريـــــة مـــــن رجـــــال و نســـــاء و أطفـــــال و شـــــيوخ بأســـــاليب مبتكـــــرة ترضـــــي أذواقهـــــم و تخلـــــبهم ألبـــــابهم و تفـــــتن قلـــــوبهم قبـــــل عقـــــولهم بســـــحرها الآخـــــاذ دون إعتـــــراض و منجـــــذبين بصـــــدر رحـــــب لأفكارهـــــا المشـــــبوهة و المرفوضـــــة مـــــن قبـــــل مجتمعـــــاتهم و خصائصها الثقافية دون أن يحركوا ساكنا .

الدين

الإنسان بطبعه مفطور على الإعتقاد و تصوراته الروحية و الإلهية منذ الأزل بشكل عشوائي و فوضوي و لم يعرف تنظيمها أو ترتيبها على هيئة قواعد و لوائح قانونية إلا بعد إختراع الدين على يد الحضارات الأولى في الشرق الأوسط (٨٨٣٠ – ٦٩٠٤ ق.م) حيث أدى ظهوره الفريد من نوعه في أرجاء المعمورة إلى تنظيم مجتمعاتها روحيا عن طريق عناصرها الأساسية التالية :

١- دور العبادة (مساجد ، كنائس ، كنس ، معابد) .

٢- كتب مقدسة (القرآن ، التوراة ، الإنجيل ، المهابهاراتا ، الزبور)

٣- كهنة أو رجال دين (فقهاء ، قساوسة ، حاخامات ، براهمانات)

لكـــن القـــوى الرجعيـــة داخـــل الدولـــة أو خارجهـــا فـــي أنحـــاء العـــالم و لا ســـيما البلـــدان المعتنقـــة للأديـــان الســـماوية (اليهوديـــة ، المســـيحية ، الإســـلام) مـــن أجـــل مصـــالحها الخاصـــة و عـــاداتهم و تقاليـــدهم الباليـــة التـــي تمـــت لـــدينهم بصـــلة مـــن الإنهيـــار عبـــر تســـييس الـــدين و توظيـــف إســـمه الغـــالي علـــى قلـــوبهم فـــي أعمـــالهم القـــذرة ضـــد أعـــدائهم التقـــدميين و مـــن ســـار علـــى نهجهـــم إلـــى يـــوم الـــدين مـــن خـــلال إســـتغلال حماتـــه الأشـــاوس كهنتـــه الميـــامين و لا ســـيما الرجعيـــون و المتطرفـــون مـــنهم مقابـــل مصـــالح متبادلـــة بـــين الطـــرفين مـــن ضـــمنها المكاســـب الماديـــة و السياســـية حتـــى و لـــو كـــان ثمنهـــا تشـــويه أغلـــى شـــئ بالنســـبة لكليهمـــا الـــدين الـــذين يعتنقـــوه عبـــر إظهـــار وجهـــه القبـــيح أمـــام العـــالم أجمـــع ســـيان مـــا بـــين أتباعـــه المخلصـــين المصـــدومين و أعدائـــه الحاقدين المسرورين .

الضرائب

ذكر المؤرخ التونسي ابن خلدون أن دولة الجباية آيلة للسقوط لا محالة ، و المقصود بدولة الجباية هنا هي الدولة التي تتعمد إفقار الناس كافة بأغنيائهم و فقرائهم على حد سواء عبر فرض ضرائب باهظة ما أنزل الله بها من سلطان عليهم و تثقل كاهلهم لأسباب و مبررات واهية لا تمت للصالح العام بصلة و دون مقابل أو فائدة تذكر .

من المعروف عن الضرائب أنها مجموعة من الرسوم المالية النظامية التي تفرضها الحكومة على أرباح دخول و مرتبات المواطنين و أموالهم المنقولة و الغير منقولة بعد إقرارها من قبل البرلمان أو السلطة التشريعية بنسب معينة و تقوم بتحصيلها منهم و إنفاقها عليهم على هيئة دعم لأسعار السلع الإستهلاكية الضرورية و مرتبات موظفي الدولة المدنيين و العسكريين و خدمات الكهرباء و مياه

الشـــرب و الصـــرف الصـــحي و النظافـــة و الإتصـــالات و النقل و الصحة و التعليم .... الخ .

لكـــن العديـــد مـــن بلـــدان العـــالم و لا ســـيما البلـــدان الإســـلامية قامـــت بتســـييس هـــذا النظـــام الإقتصـــادي العريـــق و تحويلـــه إلـــى وســـيلة مـــن وســـائل القمـــع و الإبتـــزاز الرســـمي للمـــواطنين لضـــمان ولاءهـــم و طـــاعتهم العميـــاء لهـــا أولا و منفـــذا شـــرعيا للفســـاد المـــالي و الإداري و الإثـــراء اللامشـــروع لمســـئوليها الكبـــار و الصـــغار علـــى حـــد ســـواء ثانيـــا حيـــث تفـــرض علـــيهم ضـــرائب باهظـــة لـــم يـــتم إقرارهـــا مـــن قبـــل البرلمـــان و بنســـب غيـــر محـــددة و تقـــوم بتحصـــيلها مـــنهم بشـــكل عشـــوائي دون أن تنفـــق فلســـا واحـــدا علـــيهم و لا علـــى مرتبـــاتهم و لا علـــى خـــدمات الكهربـــاء و الميـــاه و الصـــرف الصـــحي و النظافـــة و الصـــحة و التعلـــيم و النقـــل و الإتصـــالات و الســـلع الإســـتهلاكية الضـــرورية المدعومـــة المقدمـــة إلـــيهم مـــن

قبلهـــا ، و لعـــل مثـــال مصـــر و الـــيمن لخيـــر دليـــل علـــى ذلك .